الأسمر رجلاً غير الذي عرفه في الوطن، «كانت عيناه تشبهان نافذتين تطلان على عالم اللاشيء. فقد خبا فيهما البريق الذي أعهده فيهما، كما ذبلت النبرة القوية في صوته المحبب... لا أزال قادراً على سماعه يبكي... دون دموع»[٥٣].

وظل راشد يحاول عبثاً التغلب على مشاعره وأحزانه ليتواءم مع حياته، ولذلك فإن حليم بركات كان يرى في كل لقاء معه ان «معاناته تكبر وتنمو مثل عليق بري على جدران نفسه. ويبدو أنه غير قادر على التصالح مع نفسه»[٥٤]، الأمر الذي جعل حياته مأساة مثل موته. ولذلك كان في حياته كما في موته «خير انعكاس للواقع العربي المهترىء في عزيمته المبددة»، كما يقول كمال بلّاطة في كلمة تأبينه التي يتساءل فيها «أو لم نر في عينيه احتضار الحاضر العربي؟ أو لم نعتبره نحن في عداد الموتى من قبل أن يعلن بوليس نيويورك نبأ وفاته؟»[٥٥]. ويذكر ان راشداً قال مرة:

«صدق
تعبت من البكاء
ماذا تريد؟
أتريد أن أرثي
الخيول
أم الشياه
أم الرثاء؟»[٥٦].

كان راشد حساساً وطموحاً، ورجل عواطف ذا أحلام. وحساسيته المفرطة هي التي عمقت في نفسه الحزن الفلسطيني إلى ما يبدو اعتزازاً به. ولذلك كان حنينه قوياً ودائماً إلى أرضه وجذوره التي لم يستطع أن يأخذها معه من الوطن، «فعاش في نيويورك كما لو كانت مدينة فلسطينية، ومشى في شوارعها في يسر وإلف، يبتسم للمارة، ويحيي أصحاب الحوانيت ورجال التوزيع كما لو أن الواحد في حيفا أو في القدس»[٥٧]. ويذكر لنا إقبال أحمد كيف راح راشد، وهما يتغديان معاً لأول مرة، يحيي مدير المطعم في نيويورك ويسأله عن أسرته كما لو كان في مدينة فلسطينية صغيرة[٥٨]. وقد ذكر لي والداه، أثناء لقائي معهما في بيتهما، مساء ٢٦/٨/١٩٨٠، أنه كان يكتب إليهما؛ أنه لا يمكن أن ينسى القرية حيث اعتاد أن يجلس. ولم يقتصر مثل هذا الإلف والإنسانية فيه على الناس القريبين منه، فهو «حتى في أكثر لحظات حياته تعاسة وشقاء كان يعاني بعمق، ولا يستطيع كبت اهتمامه بالمضطهدين»[٥٩]. وكانت إنسانيته نمطاً فريداً انعكس حتى في علاقاته مع غير بني البشر. يذكر صديقه بوب حداد انه «على الرغم من أوامر الإخلاء الصادرة له من مالك البيت، ومع انه قرر ترك سكنه في شارع ١٠٤، فقد مكث فيه حتى تأكد من أن زوج الحمام اللذين بنيا عشهما على نافذة مطبخه قد فقسا بسلام. وفي اليوم التالي ترك سكنه ذاك»[٦٠]. ولا يستطيع المرء أن يتحدث عن راشد دون أن يتحدث عن حبه للأزهار. انه يحمل الأزهار دائماً لكل من يزوره، ولو كان لا يملك إلا جنيهاً واحداً لدفع نصفه ثمناً للأزهار[٦١].